الأستاذ: الهادي عبد الحفيظ
معهد حي الامل قابس 2018-2019

درس

الخصوصية و الكونية



المعاني المستهدفة في البحث : الخصوصي –الكوني – الانساني –العالمي – العولمة – المركزية الثقافية –التنوع الثقافي – الاختلاف – التثاقف – الثقافة – الحضارة الانسانية – العيش المشترك – الهوية – الهوية المركبة .

- على سبيل التقديم :

تندرج هذه المسألة في فضاء إشكالي عام هو مطلب الكوني باعتباره رهانا للإنساني في واقع محكوم بالصراع والهيمنة وموجه بمبادئ وقيم وضعية باتت تهدد وحدة الانسانية . للتفكير في امكان "العيش المشترك"ضمن افق حوار إيتيقي تشرع له فلسفة الاختلاف والانثربولوجيا البنيوية اليوم.

- إحراجات:

- كيف يمكن أن نتحدّث عن كوني إنساني في واقع فسيفساء ثقافية ؟
- هل يمكن فعلا أن نحقّق هذا الكوني أم أن فكرة" العيش المشترك" تبقى مجرّد امكان وجود يفسد عندما يتحقّق؟
- كيف يمكن أن نحقق هذا الكوني دون أن نقع فريسة "مركزية ثقافية" تجتثنا من جذورنا ؟
- كيف نحافظ على الهوية دون الوقوع في موقف انغلاقي قصووي رافض لكل كونية؟
- وبالتالي كيف يمكن أن نستشرف أفق كوني يتحقّق فيه التواصل ضمن شروط ايتيقية ويراعي الخصوصية؟



- التخطيط المفصل:

1. في السّؤال عن الهوية
2. الرمز بما هو مكون للخصوصية
3. من الخصوصية الى الكونية :
   أ) اشكالية التنوع الثقافي
   ب) اشكالية المركزية الثقافية
   ت) حوار ام صدام الحضارات
4. الكونية والعولمة ؟

- في السؤال عن الهوية :



السؤال عن الهوية وان ولد من رحم الفلسفة اليونانية إلا انه ولد ولادة منطقية فقد كان سؤال الهوية هو سؤال المنطق عند أرسطو قبل أن يصبح سؤال الفلسفة وعلم الاجتماع ثم علم الأنثربولوجيا.

ومعنى الهوية لغة من هو أو هو هو وتعني هو الوجود المشار إليه الحاضر والمرادف لماهية الشيء أو الوجود المنفرد كما يقول **الفارابي** :"**هوية الشئ وعينيته وتشخصه وخصوصيته ووجوده المنفرد له كل واحد وقولنا انه هو إشارة إلى هويته وخصوصيته ووجوده المنفرد له الذي لا يقع فيه اشتراك**" أي ما تكون خصوصية ذاته غير موقوفة على غيره بل مستفادة منه .وهو تقريبا المعنى نفسه في اللاتينية حيث تعني الهوية identité من idem اي ما يكون هو نفسه lui-même

« l'identité est le « sentiment subjectif et tonique d'une unité personnelle et d'une continuité temporelle »

وهي معاني على وصال بمفاهيم أخرى ذات قرابة مثل الماهية وذات النفس على المعنى الذي ذهب اليه الجرجاني في تعريفاته "ماهية الشيء هي ما به يكون الشيئ هو هو " غير أن الهوية تتحد اليوم من معاني مختلفة قد نحصرها في معنيين:

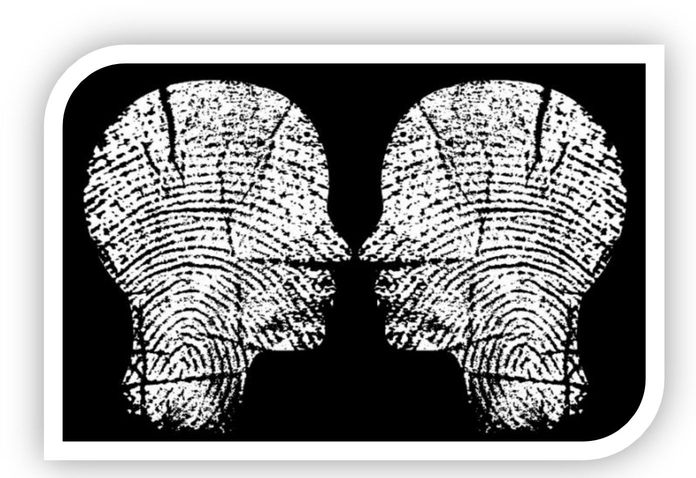
هوية الأنا و**هوية الذات** .وهي التحديدات التي أعرب عنها **اريك فروم** حين ميز بين هوية ال "الما أوجد" ويعني هوية الأنا وهي هوية فردية شخصية ذات طابع فردي نفسي ينظر لها من منظور سيكولوجي وهو ما يسميه جون لوك "هوية

شخصية "وهوية ثانية يسميها فروم هوية ال " ما املك" وتعني ما سماه هوية الذات وهي هوية مفتوحة على الخارج أو هوية اجتماعية أو ثقافية أو "هوية مركبة" كما سماها ادغار موران .

إن الفضل يعود – إن كان ثمة فضل –للأبحاث والدراسات الأنثربولوجية في الاهتمام بالهوية من جهة ما هي مطلب الذات الجماعية ووحدتها ومن جهة وعي هذه الذات بخصوصيتها في عالم أصبح الانفتاح والتنوع فيه واقعا حيا،لم يعد بالإمكان إنكاره أو تجاهله منذ الاستعمار.واليوم يتزايد الاهتمام بمعاني الخصوصية الثقافية (5)بعد التحولات الجيو- سياسية التي عرفها العالم بنهاية الحرب الباردة وظهور طرف استقطاب عالمي أحادي أسس لمقولات جديدة للهيمنة بعد " مركزية الثقافة" مثل "العولمة "و"القرية الكونية "و"صدام الحضارات" و..." العيش معا .".

فإذا كان الصراع الدولي اليوم لم تعد تحسمه شعوب أو دول بل حضارات كما يبين **صامويل هنتنغتون** فإن " الهوية الثقافية التي هي في أوسع معانيها الهوية الحضارية تشكل نماذج للتماسك والتفكك والصراع " .إن الهوية تتحدّد عموما باعتبارها ما به يكون الشيء هو نفسه، وهذا التحديد للهوية ليس بعيدا عن معنى الإنية من حيث أنها تحيل إلى ما يميز الإنسان وما يعبّر به عن حقيقته من وجهة ميتافيزيقية. بيد أن السؤال عن الخصوصية يحيل إلى الهوية من جهة ما يميز الإنسان بما هو كائن ينتمي إلى مجموعة أو مجتمع معين. وهذا يعني أن إشكالية الخصوصية والكونية تجعلنا نغادر نهائيا حقل الفردية المنغلقة على ذاتها إلى مستوى أوسع من الانفتاح على الغيرية في مختلف أشكالها وأبعادها الثقافية والحضرية.

غير أن **إدغار موران** يتناول مشكل الهوية من جهة تعقد وتنوّع مستويات الهوية الإنسانية، إذ أنه يرى أنّ التنوع بين الأفراد والثقافات يبلغ حدّا كبيرا إلى درجة أننا نحسب القول بالوحدة الإنسانية ضربا من التجريد. ذلك أن "موران" يعتبر الهوية **"هوية مركبة"** من **هوية شخصية وهوية اجتماعية وهوية ثقافية** أي كهوية تدرك من الداخل ولكن أيضا كهوية يمكن التعرف إليها من الخارج وتمثل الأساس الذي يستمدّ منه أيّ مجتمع أو ثقافة اختلافها وتميزها عن مجتمع آخر أو عن ثقافة أخرى، فكيف يمكن إذا أن نحافظ على الهوية دون أن يلحق ضيما بما هو كوني ؟



إنّ "ادغار موران" يريد فهم جدلية الوحدة والتنوع بما هي الأساس التفسيري للإنساني والثقافة على حدّ سواء، إذ يجب حسب رأيه أن نظر في الوحدة من جهة كونها تنتج التنوع لا من جهة كونها تولّد التجانس وتقضي على التنوع كما يجب أن ننظر للتنوّع من جهة كونه

ينتج الوحدة لا التنوع الذي ينغلق على ذاته فيقضي على الوحدة، ذلك أن السؤال عن الهوية عند "ادغار موران" لا يخرج عن سؤال ما الإنسان؟ وبالتالي السؤال عما هو إنساني في الإنسان، خاصة وأن السؤال عن الهوية كثرت المطارحات حوله في الوقت الراهن حيث أصبحنا شهودا مذعورين من المشاهد الوحشية التي تقدّمها وسائل الإعلام يوميا، فنتساءل عن طبيعة هذا الكائن القادر على الخير كما الشر إلى أقصى حدّ .لذلك يرى "إدغار موران" أن الثلاثية الإنسانية المتمثلة في الفرد والمجتمع والنوع تضع الفرد الإنساني في وضعية تسمح له في ذات الوقت بتكوين تنوع غير محدود ووحدة خصوصية، والعلاقات بين هذه الحدود الثلاث ليست فقط متكاملة بل هي أيضا متضادة وتمثل إمكانات صراع بين خاصيات

بيولوجية وخاصيات ثقافية في سيرورة متعاودة وفي تولّد مستمّر، ولذلك يرى "موران" أن الهوية الإنسانية تحمل في ذاتها شكل الوضعية الإنسانية لا بطريقة منفصلة أو متعاقبة ولكن بطريقة متزامنة. فالإنسان وفي ذات الوقت كائن عارف وكائن صانع... والهوية المركبة بهذا المعنى لا تذوب لا في النوع ولا في المجتمع بما أن الإنسان كذات أو كفرد لا يتعين فقط في الحوار مع ذاته ولكن يتعين أيضا في الحوار مع الآخر.

في نهاية الستينات برزت الأقلية الأمريكية من أصل إفريقي، خصوصاً بظهور منظمة "الفهود السود" سنة 1966. ثم حذت أقليات أخرى حذو حركة السود مطالبة بالاعتراف بخصوصيتها. وهذه الظرفية أنتجت "صحوة هوية حقيقية" في سنوات السبعينات. وكما لاحظ ذلك عالم الاجتماع الأمريكي روجر بروباكر، فإن "تجربة الأمريكيين من أصل إفريقي مع قضية "الإثنية" باعتبارها تصنيفاً يفرض نفسه، وفي الوقت نفسه باعتبارها تحديداً ذاتياً للهوية... هذه التجربة كانت حاسمة ليس فقط لنفسها وفي داخل حدودها الخاصة، بل أيضاً في تقديمها لنموذج الاحتجاج على أساس من الهوية، وهو النموذج الذي استفادت منه جميع أنواع الهويات، بدءاً من تلك التي تتعلق بالجنس أو بالاختيار الجنسي، وانتهاء بتلك التي تتأسس على "الانتماء الإثني أو العرق".وقد انعكس هذا في حقل العلوم الاجتماعية على مستوى الهيكلة بتأسيس أقسام متنوعة بالجامعة الأمريكية مثل الدراسات الأفرو-أمريكية (ويسمى هذا القسم بـ"الدراسات السوداء")، والدراسات النسوية، والدراسات الخاصة بطائفة الشاذين جنسياً، والدراسات عن المكسيكيين المستقرين بالولايات المتحدة، والدراسات اليهودية. وتبدو هوية الأقلية بالنسبة لهذه الحقول الدراسية معطى أوليًا. كذلك قام مفكرو ما بعد الاستعمار من جانبهم، كإدوارد سعيد وكاياتري سبيفاك، بمساءلة الهويات الهجينة والمختلطة التي صنعها التاريخ الاستعماري.

عن مقال: مفهوم الهوية: تاريخه واشكالاته،
د. الياس بلكا، بيروت: مجلة الكلمة

- الرمز بما هو مكون للخصوصية

المقدس مكون خصوصي :

يحيل لفظ المقدس على القداسة والتقديس ، وهي مشتقة من فعل قدّس بمعنى طهّر وتبارك الى مرجعية دينية بالأساس ، سواء كان موضوع التقديس اماكن او كتبا او كائنات . ويقال عن الله القدّوس، أي المنزه عن كل نقص وعيب . فلا غرابة ان يحيل المقدس على الطهارة وانتفاء التدنيس، وهي خاصية السلوك الديني ، وهنا يتداخل الاسطوري بالديني بل ان المقدس يتجلى كذلك في السحري والطقوسي ، بل في اشكال تعابير دنيا كالخرافة او الحكاية الشعبية . حيث يكون مضمونها دوما هو الخيال fiction والعجيب merveilleux ، و الخارق fantaisie ، والميثولوجي و اللامعقول irrationnel ، والمعقول plausible أحيانا أخرى .

يتجلى **المقدس** في صورة اله او قوة خارقة او كائن خرافي او عجيب لا واقعي او سحري، يثير الرعب والإجلال معا . وفي ذلك ما يشد اليه الاهتمام تلذذا ومتعة او انتظارا لعطاياه او استسلاما له خوفا من انتقامه .يقول روجي كايوا :" انما من المقدس ينتظر المؤمن كل ضروب العون وكل اشكال التوفيق ، فالإجلال الذي يبعثه في نفسه هو مزيج من الرعب والثقة ، وهو يعزو المصائب التي تتربص به فيكون ضحيتها كما .. الخيرات التي يحلم بها ".

> **" لقد وضعت الشعوب في الاديان ما كانت تفكر فيه بشان العالم عن المطلق عما كائن بذاته " هيجل** HEGEL

والمقدّس الديني هو قبل كلّ شيء تجربة ، تنحو إلى أن تتجلى في صور و تمثلات رمزية . وقد بين "مايير" ان تجربة المقدّس هي ضرب روحاني من المعانقة للعالم . إنها حدس مؤسس لنوع من الحضور الغامض، لشيء يتجاوز الحدود المعتادة للتجربة الإنسانية . وهذا الشيء المغاير تماما للدنيوي يفلت من ظروف التجربة المدنسة . والمقدّس كرمز يسمح بالانفتاح على العالم المطلق، ذلك أن طقس ما يمكّن الإنسان من اكتشاف هذا العالم المطلق ، الذي يفلت بالماهية من كلّ لغة، خاصة وأن الدين هو نسق يعبّر عن ذاته بواسطة طقوس تشغل الرمز والأسطورة.

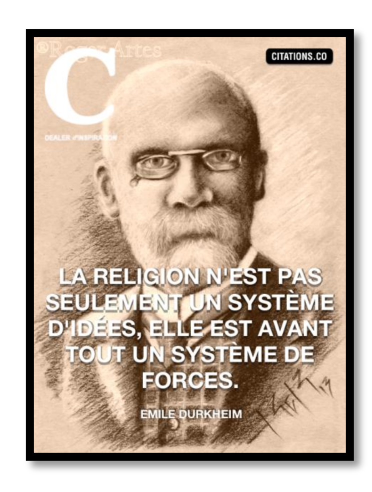
وفي هذا المنظور، تكون الأسطورة لغة المفارق، عند "غارودي" فهو لا يتحدث عن المفارق باعتباره خارجيا أو قوة فوق طبيعية ، فليس هو تعالي لرب فوقي بل تجريد رمزي للمطلق ، وهو ما يجعل من الأسطورة فعل خلق جماعي، فالأسطورة

ليست مجرّد مشاركة في العالم ، بل هي رؤية للعالم تميز الإنسان، لذلك يرى "غارودي" أننا لا نستطيع أن ننعت بالأسطورة ما هو مجرّد أثر باقي من الماضي، كما لا نستطيع أن نعتبر الأسطورة مجرّد إعادة إنتاج، أو مجرّد محافظة على الحاضر باعتبارها معيارا للسلوك. وهذا يعني أن الأسطورة ليست من الماضي بل أن هناك أساطير ينتجها الإنسان اليوم . ما يخلق تقابلا بين المقدس والمدنس حسب **مارسيا الياد،** فعند الانسان المؤمن "المقدس يحاكي المسلك الالهي ، يقيم بالقرب من الالهة أي في الحقيقي وذي المعنى" . بينما يرى الانسان اللاديني في المقدس "عقبة امام حريته ، ولن يثوب الى رشده جذريا ، ولن يصير حرا حقا ، إلا بأن يقتل الاله الاخير ، " هذا التعالق بين الديني واللاديني بين المقدس والمدنس ، يصفه **بول ريكور** بالتقابل بين الرمز والوثن ، هو ما يخلق ما يسميه ريكور "الاغتراب الديني " الذي لا يمكن حله الا ب"**ان يموت الوثن ويحيا الرمز** ". فالرمز صورة تخيلية في ذهن المتدين لا يمكن تمثلها واقعيا إلا في موضوع حسي "هو انهيار العلامة في موضوع فوق طبيعي و فوق ثقافي"كما يقول ريكور .

وظيفة المقدس الاجتماعية :

يرى **دوركايم** ان الافكار الدينية والأسطورية ، تعمل لأجل وظيفة اجتماعية بالأساس لا لغاية الايمان او الاعتقاد بل لتحقيق التماسك الاجتماعي للمجتمع وهو ما يفسر حسبه ، خلود واستمرار الظاهرة الدينية والأسطورية بشكل عام. فهذه الافكار ضرب من "وعي جمعي" ، تعمل على توحيد المجتمع وإعادة انتاج علاقاته، بعد ان يكون قد اصابها الفتور. فالأعياد الدينية وطقوسها تعمل ك "محرار" اعادة انتاج علاقات الافراد بعضهم ببعض .

يقول دوركايم : **"ليس ممكنا ان يوجد مجتمع لا يشعر بالحاجة الى مشاعر جماعية، وتصورات يرعاها في فترات منتظمة، اذ هي التي تصنع وحدته بالاتحادات والجمعيات والتكتلات ، حيث يكون التقارب وثيقا بين الافراد فيجمعون من جديد على تأكيد مشاعرهم المشتركة".**



- من الخصوصية الى الكونية :

أ) اشكالية التنوع الثقافي



ان عصرنا اليوم هو عصر الاختلاف دون منازع، فنحن نمدح الاختلاف و نقرضه، نطالب بحق الاختلاف ونناضل من أجله. غير أن الحضور الدائم لكلمة الاختلاف في منطوقنا اليومي و في مختلف المنابر، لا يعكس بالضرورة حضور فكرة الاختلاف في ظلّ واقع العولمة حيث تسيطر ثقافة واحدة، وحيث نلاحظ مواقف عنصرية و لاتسامح مع الاختلاف الثقافي. ذلك هو منطلق "كلود لفي ستراوس" في تظنّته على ما آلت إليه العلاقات الإنسانية اليوم والعلاقات بين الثقافات والحضارات في ظلّ الحدّ الأقصى من الاتصال أو ما سمّاه "**إفراط الاتصال** ». ما هو إذن شأن الاختلاف الثقافي اليوم؟ هل هو واقع فعلي معيش أم أنّ الاختلاف هو مجرّد كلمة أو شعار نتبجح بها في المنابر لتوشي الخطب؟

عندما قارن "**كلود لفي ستراوس**" علاقات القرابة والأساطير عند "البدائيين" لاحظ أنه ينتهي دائما إلى نفس المشكل الأساسي، فاستخلص أن وراء تنوع الثقافات توجد وحدة نفسية للإنسانية، إذ هنالك عناصر أساسية مشتركة للإنسانية، والحضارات لا تقوم إلا بتركيب هذه العناصر المشتركة في تشكيلات مختلفة. ولذلك نلاحظ بين الثقافات البعيدة عن بعضها البعض تشابهات وهي تشابهات لا تُعزى بالضرورة إلى التواصل بين الحضارات خاصة إذا ما تبيّنا وجود حضارات يصعب تصور الاتصال فيا بينها نظرا لانزوائها وتباعدها عن بعضها البعض مثلما هو شأن حضارة "الأنكا" في "امريكا الجنوبية" و"الداهومي" في "منطقة الغرب الافريقي ".

> **" البربري هو من امن بوجود البربرية "**
> **كلود ليفي ستراوس**

و يلاحظ "كلود لفي ستراوس"، انطلاقا من دراسته للأساطير والقواعد الاجتماعية لمختلف الثقافات نواة أساسية تمثل **ثوابت بنيوية** (Des Invariants structurales) في كلّ بقاع العالم مثل علاقات المحرمات (Prohibition de l'inceste)، فهذا الممنوع يحضر في كلّ المجتمعات ويمثل ثابت بنيوي يسمح في كلّ المجتمعات من التحول من الإنسان البيولوجي إلى الإنسان

الاجتماعي. ومن هذا المنطلق يقرّ "لفي ستراوس" أنه:"**ليس هناك حضارة بدائية وأخرى متطورة**"، بل هناك إجابات مختلفة لمشكلات أساسية ومتماثلة، وما يسميه العنصريون بالمتوحشين هم أيضا يفكرون وفكرهم ليس أقلّ مرتبة من فكر الغربيين بل هو فقط فكر يشتغل بطريقة مختلفة عن فكر الغربيين. وهذا يعني أن الإنسانية عند « لفي ستراوس" تتطور في ضروب متنوعة من المجتمعات والحضارات، وهذا التنوع الثقافي ليس مرتبطا بأي حتمية بيولوجية لأن التنوع البيولوجي ليس إلا تنوعا على مستوى آخر موازٍ للتنوع الثقافي خاصة وأن التنوع الثقافي يتميز عن التنوع البيولوجي من جهة كون التنوع الثقافي يعدّ بالمئات والآلاف في حين أن التنوع البيولوجي يُعدّ بالعشرات. وقدرة الثقافة على دمج هذا المجموع المركب من الاختراعات في الميادين المختلفة والذي نسميه حضارة يتناسب مع عدد واختلاف الثقافات التي تتشارك مع بعضها عن قصد أو عن غير قصد في تأسيس استراتيجيا مشتركة. ذلك ما ينتهي إليه "لفي ستراوس" عبر مقارنته بين أوروبا في عصر النهضة وأمريكا ما قبل "كولومبس »، فأوروبا عصر النهضة كانت تمثل موضع تلاقي وصهر التأثيرات الأكثر تنوعا بدءا بالتقليد الروماني واليوناني فالجرماني والأنقلوسكسوني وصولا إلى التأثيرات العربية والصينية، في حين أن أمريكا ما قبل "كولومبس" لا تنعم بهذا التنوع بحكم عزلتها كقارة، وفي حين أن الثقافات التي كانت تتلاقح في أوروبا تمثل نتيجة اختلافات قديمة تعود إلى ألفيات مما جعلها تحقق توازنا اجتماعيا فإن ثقافات أمريكا لم تكن متمفصلة بما فيه الكفاية وهو ربما ما يفسر انهيارها أمام حفنة من المستعمرين ثم إن الحلف الثقافي في أمريكا ما قبل "كولومبس"كان مقاما بين أطراف أقلّ اختلافا.

وهذا يعني أنه ليس هناك مجتمع ترسّبي في ذاته وبذاته والتاريخ الترسبي ليس خصوصية بعض الأعراق أو بعض الثقافات بل هو نتيجة سلوك ثقافي، هو ضرب من وجود الثقافات يتمثل في وجودها معا، وهكذا يستخلص "لفي ستراوس" أن التقاء الثقافات قد يؤدي إلى نتيجتين:

- إما أن يؤدي إلى تصدّع وانهيار نموذج أحد المجتمعات
- إما أن يؤدي إلى تأليف أصيل بمعنى ولادة نموذج ثالث لا يمكن اختزاله في النموذجين السابقين.

وهذا يعني أنه ليس هناك تلاقح حضاري دون مستفيد والمستفيد الأوّل هو ما يسميه "لفي ستراوس" **بالحضارة العالمية** التي لا تمثل حضارة متميزة عن الحضارات الأخرى ومتمتعة بنفس القدر من الواقعية وإنما هي فكرة مجردة. ومساهمة الثقافات الفعلية المختلفة لا تقتصر على لائحة ابتكاراتها الخاصة، خاصة وأنّ البحث عن جدارة ثقافة ما باختراع أو بآخر هو أمر لا يمكن التثبت منه، ثم إن المساهمات الثقافية يمكن توزيعها إلى صنفين، فمن جهة لدينا مجموعة من الإضافات والمكتسبات المعزولة التي يسهل تقييم أهميتها وهي محدودة ومن الجهة المقابلة لدينا إسهامات نسقية ترتبط بالطريقة الخاصة التي يختارها كلّ مجتمع للتعبير أو لإشباع مجموع طموحات إنسانية والمشكل بالنسبة لـ"لفي ستراوس" لا يتمثل في قدرة مجتمع ما على الانتفاع من نمط عيش جيرانه ولكن، إذا ما كان هذا المجتمع قادرا و إلى أيّ مدى يكون قادرا على فهم ومعرفة جيرانه؟ ومن هذا



المنطلق فإن الحضارة العالمية لا يمكن أن توجد إلا كفكرة، من حيث أنها: "**تحالف للثقافات التي تحتفظ كلّ واحدة منها بخصوصيتها** ".

أما ما هو بصدد التحقق في إطار العولمة، فليس إلا علامة تقهقر الإنساني والكوني. وإذا كانت الإنسانية تأبى أن تكون المستهلك العقيم للقيم التي أنتجتها في الماضي، فإنه عليها أن تتعلم من جديد أن كلّ خلق حقيقي يتضمّن نفيا ورفضا للقيم الأخرى، لأننا لا نستطيع أن نذوب في الآخرين وأن نكون مختلفين في نفس الوقت والعصر الذهبي للخلق تحقق في "ظلّ شروط الحد الأدنى من الاتصال"، لأن هذا الحدّ الأدنى من الاتصال هو ما يدفع أطراف التواصل رغم البعد ودون أن يكون التواصل دائما وسريعا وهو الشكل الذي يضعف الاختلاف. و"كلود لفي ستراوس" يعلم أن العودة إلى الوراء غير ممكنة، ولكن الوجهة التي تسير فيها الإنسانية، وجهة العولمة تجعل الوضع الإنساني مشحونا ومولدا للحقد العرقي و اللاتسامح الثقافي "فنحن الآن مهددون باحتمال تحولنا إلى مجرّد مستهلكين قادرين على استهلاك أي شيء من أية نقطة في العالم ومن أية ثقافة والثمن دائما فقداننا لأصالتنا بأكلها". يبدو إذن أنّ إفراط الاتصال هو ما يهدّد الإنساني لأنه يهدّد التنوع والاختلاف المحفّز والمولّد للإبداع المحرز للتقدم. و بالتالي فإن عدم اعتبار الاختلاف يجعلنا نعتقد أن ما هو عادي بالنسبة إلينا هو كذلك بالنسبة لكلّ الناس، يجعلنا نعتقد أن معاييرنا الثقافية هي معايير كونية، ويجعلنا نعتقد أن ما هو عادي بالنسبة إلينا هو أيضا طبيعيا.

ب- اشكالية المركزية الثقافية :

المركزية الاثنية او الثقافية او الاستعلاء العرقي أو التمركز الإثني أو المركزية العرقية أو الاستِعراقية كما جاء في موسوعة وايكيبيديا ه"و اعتقاد إنسان بأن أمته أو الجنس الذي ينتمي إليه الأحسن والأكثر اتساقًا مع الطبيعة. يشير إلى الاعتقاد بأن جماعة الفرد هي الأفضل بين كل الجماعات، وأن الحكم على الآخرين على أساس أن جماعة الفرد هي مرجع هذا الحكم إيماناً بالقيمة الفريدة والصواب التام للجماعة التي ينتمي إليها والترفع عن الجماعات الأخرى إلى حد اعتبارها نوع من غير نوع جماعته، ولا شك أن هذا التمركز العرقي يعد عاملاً هاماً في نشأة الصراعات العرقية والتعصبية والتي قد تصل في أحيان كثيرة إلى حد المذابح والإبادة والتمرد والثورة والإرهاب والحروب.

أدخل وليم جراهام سمنر، عالِم الاجتماع الأمريكي هذا المصطلح عام1906 م .عرّفه على أنه النظر إلى جماعة ما على أنها مركز كل شيء، وجميع الآخرين يوزنون ويرتبون بعدهم. ونتيجة لاتساع نطاق ثقافة ما فإن الناس أصبحوا يرون طرق مجتمعهم باعتبارها الطرق السليمة للتفكير والشعور والعمل ولهذا السبب فإن الاستعلاء

العرقي قد لا يمكن تجنبه. إنه يعطي الناس شعورًا بالانتماء والكبرياء والرغبة في التضحية من أجل خير الجماعة ولكنه يصبح ضارًا إذا بلغ حدّ التطرف. كما أنه قد يسبِّب التحيُّز والتعصب ورفض الآراء الآتية من الثقافات الأخرى بل واضطهاد الجماعات الأخرى. والتعرض للثقافات الأخرى يكسب المرء فهمًا ومرونة قد تقلل مثل ردود الفعل هذه ولكن لا يمكن التغلب عليها كلية أبدًا. إن الهوى الأيديولوجي وهوَسْ التمركز الإثني العرقي والخيال الشخصي تقود إلى تزييف الوعي التاريخي والاستغراق في تعظيم التاريخ العرقي المصطفى على حساب الأمانة العلمية والمصداقية الفكرية. " وقد استغل هذا التحديد فلاسفة وسياسيون وعلماء انتربولوجيا واجتماع لاثبات التفوق الحضاري الغربي على ثقافات الشعوب الاخرى مستغلين في ذلك ما وصلت اليه الداروينية في ابحاث "النشوء والارتقاء "الطبيعية لسحبها على التنوع الاثني والثقافي للبشرية .مثلما تصور نيتشة فكرة السوبرمان القائمة على ارادة القوة والتي قد تكون النازية وظفتها لتبرير مشروعية الحرب على عقيدة تفوق الجنس الجرماني على باقي الشعوب الاوروبية او فكرة "المعجزة الاغريقية "التي نظر لها مؤرخ العلوم الفرنسي رينيه تاتون René TATON في موسوعته عن تاريخ العلوم التي اثبت فيها تفوق الاغريق بفضل اللوغوس .

يقول إيريك وولف في كتابه أوروبا ومن لا تاريخ لهم: الصادر في وايكيبيديا
«ويؤمن بعضنا بأن للغرب شجرة نسب تشير بأن اليونان القديمة أنجبت روما، وأن روما أنجبت أوروبا المسيحية، وأن أوروبا المسيحية أنجبت عصر النهضة، وعصر النهضة أنجب التنوير، والتنوير ما لبث أن تمخضّ عن الديمقراطية السياسية والثورة الصناعية أما الصناعة المتزاوجة مع الديمقراطية فسرعان ما تمكنت من إنتاج الولايات المتحدة الأمريكية المجسدة لحقوق الإنسان والحرية والبحث عن السعادة»

و عليه فإن المختلف بثقافته لا يعتبر فقط غريبا بل أيضا بربريا(Barbare) فالغريب هو الآخر بالنسبة إلى الأنا، هو من ينتمي إلى ثقافة مختلفة والبربريّ هو الغريب الذي أُموضعه في مرتبة أقلّ من الإنسان. وعبارة **بربري** (barbarian) إنسان ينظر إليه على أنه غير متحضر أو بدائي .وعادة ما يطلق على الغريب او الاجنبي الوافد على المدينة وهي عبارة كان يستعملها اليونان للاشارة الى الغريب الوافد على اثينا او غير الناطق بلغتها ويقال يبربر اذ يلوك الكلام ولا يحسن نطقه وهي تناسب عند العرب عبارة العجم والاعجمي غير الناطق بالعربية وفي اللسان العربي تقال على الحيوان لكونه لا ينطق فنقول العجماوات أي الخرساء لكون الوافدين على الجزيرة العربية من غير العرب يصنفونهم في خانة الحيوان الاعجم .فالبربري هو الاعجمي وهو الغريب وهو المتوحش(forasticus في اللاتينية وفي الفرنسية farouche) او غير المتمدن او من ينتمي لعالم اللاانسان واللامدنية واللاتحضر.

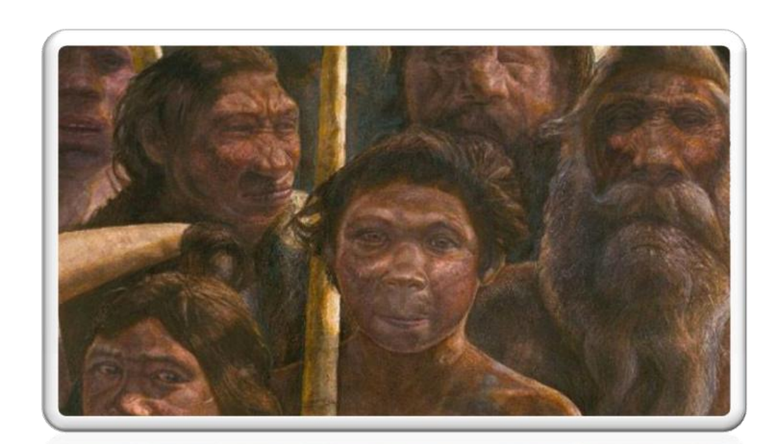
.ثم اصبحت تطلق على أي عضو من أمة يحكم عليها البعض على أنها أقل حضارية أو نظامية (مثل المجتمع القبلي)، ولكن قد يكون أيضا جزءا من مجموعة ثقافية" بدائية" معينة (مثل البدو الرحل) او الطبقة الاجتماعية (مثل قطاع الطرق) سواء داخل الأمة أو خارجها. و قد عرج كلود ليفي ستراوس في كتابه العرق والتاريخ على هذا المعنى بالضبط حين يقول "كانت العصور القديمة تخلط كل ما لا يشترك مع الثقافة اليونانية تحت اسم

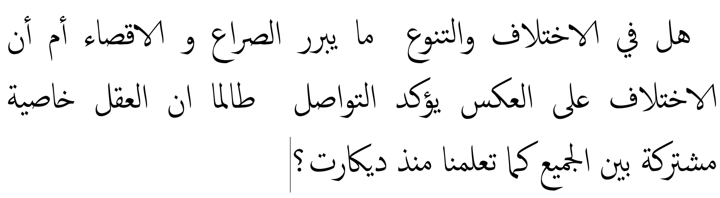
الاسم اليوناني القديم βάρβαρος باربارُوس "barbarian" "برابرة"، نقيض ل πολίτης بوليتِس، "مواطن" من- πόλις بوليس، "دولة المدينة".

البربري وفيما بعد استعملت الحضارة الغربية تعبير متوحش في المعنى ذاته ..اذ من المرجح ان كلمة بربري تقود من الناحية اللغوية الى غموض وجمجمة اغاني العصافير بمواجهة القيمة التعبيرية للغة البشرية وكذلك كلمة متوحش التي تعني انه ات من الغابة تذكر بنوع من الحياة الحيوانية في مقابل الثقافة الانسانية ".

لذلك يسمي "كلود لفي ستراوس » **مركزية إثنية** (Ethnocentrisme) الحكم المسبق الذي لا يحكم قيميا على ثقافة أخرى إلا انطلاقا من ثقافته الخاصة. وهذا يعني أنّ المركزية الاثنية بالنسبة للوعي الجماعي، هي عند « كلود لفي ستراوس » نظير الأنانية بالنسبة للوعي الفردي. لذلك يدعونا «كلود لفي ستراوس" إلى التسامح مع الثقافات الأخرى وأن نتعلم تقبّل اختلافات الإنسانية، ذلك ما يسميه بالنسبية الثقافية، فليس هناك ثقافة لها الحق في النظر إلى ذاتها باعتبارها أرقى من الثقافات الأخرى، ولذلك يقول"كلود لفي ستراوس" :" **إن البربري هو من آمن بوجود البربرية"**، فمن وجمة النظر الأنثروبولوجية ليس هناك سلّم مفاضلة بين الثقافات وإنما هناك تنوّع نسبي بين الثقافات ومفهوم التفوق الثقافي ليس إلاّ وليد الحكم المسبق الذي تمثله المركزية الاثنية أو الميل لاعتبار ثقافتنا الخاصة نموذجا للإنسان.

"ان الفرس تقتدي ولا تبتكر, والروم لا يحسنون الا البناء والهندسة, والصين اصحاب صنعة لا فكر ولا روية, والترك سباع للهراش, والهند اصحاب وهم وشعوذة, والزنج بهائم هاملة. اما العرب فقد علمتهم العزلة التفكير وساعدتهم بيئتهم على دقة الملاحظة وهم ذوو قيم خلقية عليا " ابو حيان التوحيدي –الامتاع والمؤانسة .





ج - حوار ام صدام الحضارات :



هل في الاختلاف والتنوع ما يبرر الصراع و الاقصاء أم أن الاختلاف على العكس يؤكد التواصل طالما ان العقل خاصية مشتركة بين الجميع كما تعلمنا منذ ديكارت؟

في رسالته "في أصل التفاوت بين البشر" بين **روسو** للمرة الأولى ، أن هناك نوعين من التفاوت بين الناس ، تفاوت طبيعي وآخر اجتماعي ، وأنه اذا كانت المؤسسات الاجتماعية تكشف عن بشاعة التفاوت بين الناس ، فإنه من غير الممكن بل من المستحيل رد هذا التفاوت إلى أصل طبيعي . والعودة إلى طبيعة التفاوت يضطرنا إلى فهم طبيعة الإنسان ذاته . و روسو يكشف لنا أن الطبيعة البشرية" خيرة " وأن نزعة الشر في الإنسان خلقتها المؤسسات الاجتماعية ، حين بررت الاختلاف بين الناس على أنه طبيعي ، وأن الإمتيازات الإجتماعية و المادية ، كالإمتياز في الثروة و في الميراث ، من أصل طبيعي . والحال أن ما هو طبيعي في هذا التفاوت بين البشر عند روسو هو فقط ذلك الإختلاف في المولد و في فرص الحياة " la fortune " ، أما الحقوق الطبيعية التي سنت منها الدساتير " قوانينها الوضعية "فهي متساوية عند الجميع ، وانما هذه الأنظمة هي التي أساءت فهم واستخدام هذه القوانين . لذلك سيعلن روسو في كتابه " في العقد الإجتماعي: **"يولد الناس أحرارا دوما و لكنهم في كل مكان هم مكبلون بالأغلال"** ، باعتبار الحرية حق طبيعي قامت الأنظمة المدنية بإعتمادها شعارا لقيامها ، و أساسا لوحدة البشرية .وكان لزاما على المؤسسات المدنية المحافظة على هذا الحق لا اغتصابه كما جاء في" الإعلان الفرنسي لحقوق الإنسان و المواطن " في ذلك الوقت " إن غاية كل اجتماع سياسي هي المحافظة على حقوق الإنسان الطبيعية واللامتناهية " .

وان كانت غاية أي اجتماع بشري تحقيق الحقوق الطبيعية للانسان فان غاية أي التقاء ثقافي هو تحقيق كونية هذه الحقوق و هذا يفترض "**ايتيقا حوار** " كما سماه **بول ريكور** من اجل "**عيش مشترك**" مع الاخر المختلف اذ يقول «أعرف الأخلاق بالمعنى العام للفظ وهو الرغبة في العيش الحسن مع ومن أجل الآخرين وفي مؤسسات عادلة .ومن ثمة فإن جميع الأفراد والتجمعات البشرية على تفردها وخصوصية رؤاها ومعتقداتها وذاكرتها الحضارية تريد أن تعيش في سياق الحياة الخاصة أو المشتركة وفقا لمقتضيات الرغبة في الاكتمال السعيد «.ومن الملاحظ أن ريكور يؤكد في هذا السياق أن الرغبة في الاكتمال السعيد على الصعيد الأممي والكوني لا يمكن أن تتحقق إلا ضمن منظومة من المبادئ والقيم الايتيقية المشتركة التي توحد البشر حول غاياتهم الوجودية –الكونية على الصعيدين الأخلاقي والاجتماعي –الثقافي. و عليه فأن اللقاء بين الثقافات المتنوعة على أرضية الحوار المتكافئ ليس ترسبا لليوطوبيا والتمثلات الخيالية بقدر ما هو بحاجة إلى تجديل

الاستعدادات والقيم الكامنة في الإنسان سواء أتعين في قدراته الذاتية-الشخصية أو في رهاناته وانتظاراته الايتيقية والحقوقية –الكونية. وعليه فإن إيتيقا الاعتراف الكوني بالهوية والاختلاف بين الأمم والشعوب تبقى على الرغم من كل الظروف التاريخية الصعبة التي مرت بها رهينة استعداد كل أمة للمساهمة الإبداعية في إثراء الحضارة العالمية والتعايش في تفاهم ووفاق مع الحضارة الثقافية.وهو ما تصوره ريكور ممكنا للثقافة العربية الاسلامية وللثقافة الهندية اذ يقول **"وحدها الثقافة الحية والوفية لأصولها وفي الان نفسه تلك التي في حالة ابداع على صعيد الفن والأدب والفلسفة ..هي القادرة على تحمل اللقاء بالثقافات الاخرى ...واني على يقين بأنه سيكون للعالم الاسلامي الذي يشهد نهضة وللعالم الهندي الذي تولد تأملاته القديمة تاريخا يافعا مع حضارتنا وثقافتنا الاوروبية هذا التجاور المخصوص الذي لكل المبدعين".**

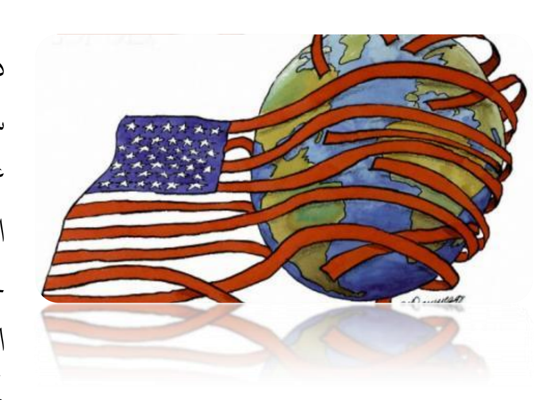
ولكن تعالوا نرى ما يقوله فلاسفة "الديمقراطية والعولمة الجدد " ففرانسيس **فوكوياما** F.FOKOYAMA هذا الشاب الياباني الأصل الذي لم يكن اسمه ظاهرا أو معروفا حتى سنة 1981 في أوساط الباحثين حتى القاء محاضرته الشهيرة بعنوان " نهاية التاريخ " في جامعة شيكاغو .أصبح هكذا و فجأة "العقل المفكر" للنظام العالمي الجديد- اذ نراه في يكتب في مقال نشرته مجلة " نيوزويك " NEWSWEEK بعنوان: "العدو الحقيقي " يعتبر فيه أن "**الديمقراطية الحديثة هي نسخة علمانية للمبدأ المسيحي في المساواة الإنسانية عالميا** " وفي المقابل فإن "**الإسلام هو الحضارة الرئيسية الوحيدة التي يمكن الجدال بأن لديها بعض المشاكل الأساسية مع الحداثة** ".

فالمشكل من منظور فوكوياما ، مشكل حضاري، عقائدي، فمشكل التخلف،والفقر،والإرهاب ،... سببه عدم تلاؤم الدين الإسلامي مع الحداثة الغربية ، أو ما يسميه " الفاشية الإسلامية " في إشارة للحركات الدينية المتطرفة في الوطن العربي وعلى رأسها " الحركة الوهابية " في السعودية .

والتي ستعطي هذا المفهوم بعد احداث 11 سبتمبر كل ذلك الزخم الدلالي في حرب امريكا على الارهاب من باب التبرير الفلسفي والايتيقي بان المعركة معركة حضارات كما سيسوقها ويمقها المفكر الاستراتيجي الامريكي **صامويل هنتنغتون** في ما سماه "**صدام الحضارات** ".ذلك ان الحضارات الأخرى لم تدخل بعد عصر " التحضر " بالمفهوم الغربي للكلمة وان تسنى لها اليوم ذلك فبفضل ما سماه "**عبء الرجل الابيض**"المحكوم بالتفوق والهيمنة لا بالاخلاق .ف"**لما كانت الحضارات الاسيوية والإسلامية تدعي اثبات الطابع الكوني لثقافتها فان الغربيين سيدفعون للاهتمام اكثر بالروابط الموجودة بين الكونية والامبريالية** ".

وليست مفاهيم "الحرب على الارهاب" و"الفوضى الخلاقة" و"الشرق الاوسط الجديد" و"النظام العالمي الجديد "و"الربيع العربي " الخ سوى نسخ صالحة للتطبيق لمفهوم صدام الحضارات حسب الظروف الجيو-سياسية.

4) الكونية والعولمة :



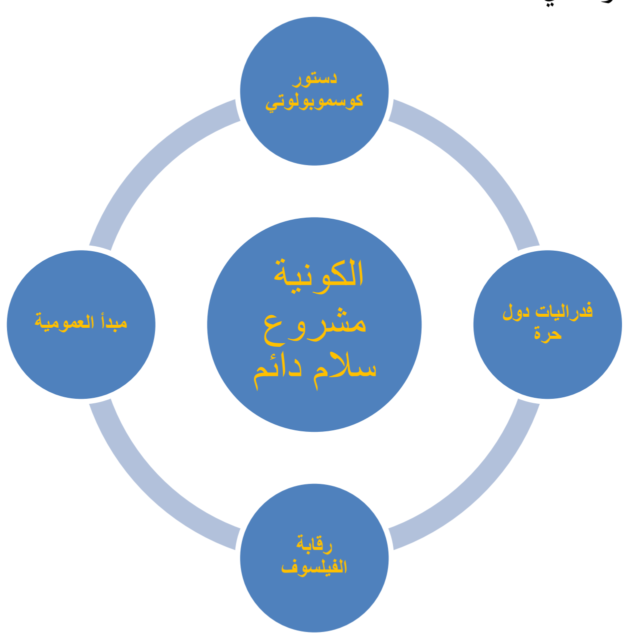
ذلك أن العولمة هي عملية اقتصادية في مقام اوّل ثمّ سياسية ويتبع ذلك الجوانب الاجتماعية والثقافية إذ هي عملية تحكّم وسيطرة تشغل إزاحة الأسوار والحواجز بين الدول، بل أنها تسعى إلى تحويل العالم إلى ما يشبه القرية حتى تسهل عملية السيطرة خاصة وأن العولمة من الناحية الاقتصادية تقوم على نشر الرأسمالية كنظام للتجارة وكنظام للإستهلاك وهي عملية يلعب فيها الإعلام دورا كبيرا خاصة وأن الإعلام والاتصال والمعلومات تمثل اليوم المكونات الأساسية في الاقتصاد العالمي، وفرض الرأسمالية على كل دول العالم تسبب في فقر الدول النامية وارتفاع مديونيتها مما أجبر هذه الدول على تقديم تنازلات سياسية واجتماعية. وهذا ما يضعنا أمام أهمّ الأسئلة على هامش علاقة العولمة بالهوية وهو سؤال يتعلق بالمكان فالمكان ضلّ على امتداد التركيبة السياسية التقليدية ممثلا في الدولة الوطنية، مكان مغلق على مجموعة من الفاعلين الحاضرين في علاقات تقوم وجها لوجه، هذا المكان أصبح اليوم مجالا كونيا مفتوحا لتفاعلات أبعد من نطاقه المحدّد، تفاعلات يدخل فيها أفراد غير موجودين بالمكان ذاته وأحداث لا تحدث بالمكان ذاته، مما يجعل التعايش بين العولمة والهوية أمرا محدودا للغاية ما دامت الهوية ترتكز على الخصوصية بينما تسعى العولمة إلى تجاوز هذه الخصوصية .

وهكذا يرى "**سمير أمين**" أن اندثار الحدود السياسية والثقافية والقانونية أمام العولمة المدعومة بوسائل حديثة للاتصال كالانترنات والفضاءات التلفزية... قد دمر آخر قلاع المقاومة للاكتساح الغربي والأمريكي بالأساس، إذ تتجاوز الهيمنة الأمريكية في العولمة الجانب الاقتصادي والسياسي لتشمل الجانب الثقافي أطلق عليه "سمير أمين" اسم ثقافة العولمة بما يعنيه ذلك من تعميم للقيم النفسية والعقائدية... الأمريكية على الأذواق والسلوكيات التي تشكّل المنظومة المتكاملة للخصوصية الحضارية لبقية شعوب العالم. والمدخل الأساسي لهذه الايديولوجيا الثقافية يتمثل في الإعلام الذي يتجاوز كلّ الأشكال التقليدية للتواصل والذي أنتج ثقافة جديدة، ثقافة ما بعد ما بعد المكتوب، ثقافة الصورة باعتبارها المفتاح السحري لثقافة العولمة. لذلك ينقد "سمير أمين" المثقفين العرب الذين تدور مناقشاتهم حول إشكاليات مفتعلة تتعلق بالحداثة والأصالة، لأن الثقافة بالنسبة لـ: سمير أمين، ليست منظومة صلبة وجامدة في الزمن والمسألة بالنسبة إليه يجب أن تطرح في إطار النسبية الثقافية أين تتحدد الثقافة باعتبارها مبدأ تكيف مع ظروف الحياة .وفي إطار هذه المنظومة للنسبية الثقافية يرى "سمير أمين" أنه بالإمكان تطوير ثقافة جديدة تجابه العولمة الثقافية وتحمي الهوية الثقافية من الهيمنة التي تفرضها أمريكا. المشكل إذا بالنسبة لـ"سمير أمين" لا يتعلق بالتهجم على الحداثة والكونية التي نظرت لها الحداثة مع "كانط" وإنما في مجابهة ثقافة العولمة .

ذلك أن **كانط** كان ينظر لإقامة سلم دائمة، كان يرى أنّ السلم بين الشعوب والثقافات والدول هو مشروع

قابل للتحقيق لا بمعنى تغيير جذري في الإنسان ولكن بمعنى إنشاء الحق الذي سيكون خلاص سياسي للإنسان، فالسلم لا يكون إلا بتطبيق الحق ولا تكون شرعية إلا العلاقات سواء بين الأفراد أو الدول التي لا تقوم على العنف وإنما تقوم على الخضوع الحرّ لقانون مشترك. والكونية التي يتحدّث عنها "كانط" تتمثل في سنّ قانون سياسي كوني يحمي حق الغرباء، جعل كانط يدافع عن فكرة مواطنة عالمية بحيث يتمتع الفرد بحقوقه بطريقة مستقلة عن انتمائه الوطني والإقليمي. وهذا يعني أن الحق السياسي الكوني عند كانط هو إدانة لغطرسة الدول الاستعمارية وإدانة لكلّ أشكال التخوف من الغريب ولذلك فإن تأسيس حق سياسي كوني، يجعل من كل إنسان مواطنا للعالم لا مواطنا عالميا بمعنى تنكره لأصوله وثقافته، بحيث يكون الوعي بالمواطنة متسعا بحسب العالم كله. وذلك ممكن بالنسبة لكانط لانه يعتبر أن ما يجب على الإنسان فعله هو بالضبط ما يستطيع الإنسان فعله. ذلك هو معنى الحرّية الأخلاقية عنده، وذلك هو أيضا المطلب الإنساني الذي نظّرت له الحداثة مع كانط.

فالكونية التي يسميها كانط "الضيافة الكونية"هي مشروع ممكن اخلاقيا وميتافيزيقيا (العقل العملي) قابل للتأسيس ضمن شروط الحق الكوني وليس محبة الانسان وضمن مبادئ السلم البشري وشروط الزيارة لا الاقامة ما يفترض دستور كوسموبولوتي لدول جمهورية لفيدراليات حرة تتوفر على فضاء عمومي لايتيقا الفعل السياسي على النحو التالي :



لكنّ لا "كانط" ولا "هيغل" كروّاد للحداثة كان بإمكانهما أن يأخذا بعين الاعتبار أهمية العامل الاقتصادي في نشأة الحروب واندلاعها وهو ما تشهد عليه العولمة. ذلك هو المنطلق الذي جعل "بودريار" يعتبر أن الكوني كأطوبيا تغنت بالحداثة ونظّرت إليه يموت عندما يتحقق، لأن الكونية تفسد عندما تتحقق. ذلك أن العولمة حسب "بودريار" ليست شيء آخر غير الخصوصية المدعية للكونية، والثقافة الغربية التي كانت حبلى بالكوني، عندما جاءها المخاض ولدت العولمة فماتت بدورها. ولكن إذا كان موت الثقافات الأخرى موتا رحيما لأنها ماتت من فرط خصوصيتها، فإن موت الثقافة الغربية كان موتا شنيعا لأنها فقدت كلّ خصوصية عبر

استئصال كلّ قيمها السمحه (الحرية، الديمقراطية، حقوق الانسان...) في إطار العولمة إذ أنّ "**الكوني يهلك في العولمة.**"



فالعولمة (globalisation) اوالعالمية (mondialisation) ليست هي ما نعنيه بالكونية (universalisation) في معناها الفلسفي والايتيقي الانف الذكر والذي نظر له كل فلاسفة التنوير, بل العولمة هي مشروع نيوليبرالي و نيوكولونيالي (استعمار جديد) اقتصادي واجتماعي وثقافي تعمل منظومة الرأسمالية العالمية على تجذيره وفق براديغم الانتاج –الاستهلاك - والمردودية المنتج لنظام اكثر توحشا بعد نهاية الحرب الباردة وفق جملة من اليات الهيمنة الامبريالية التي يمكن اجمالها في يلي :

مستويات الهيمنة	**على المستوى العسكري**	**على المستوى التجاري**	**على المستوى المالي**	**على المستوى الثقافي**
الالية	حلف شمال الاطلسي او كما يسمى اختصار الناتو N.A.T.O	منظمة التجارة العالمية **W.T.O** World Trade Organization	البنك العالمي وصندوق النقد الدولي والصناديق المانحة F.M.I W.B	الجمعيات والمنظمات ذات الصبغة الحقوقية والخيرية والاعلامية والمعاهد الاستراتيجية. مثل "فريدوم هاوس " هيومن رايتس واتش –الانترنت –الفضائيات – برامج تلفزيون الواقع الخ
الوظيفة	اتفاقيات الدفاع المشترك بين الشركاء ولعب دور شرطي العالم.	اتفاقيات الشراكة والتبادل التجاري بفتح الحدود والغاء الرسوم الجمركية وتحرير المبادلات والتعامل بالدولار كعملة عالمية وحيدة.	اقراض الدول الفقيرة والنامية بعنوان تعديل موازناتها المالية واغراقها في المديونية لمزيد تفقيرها لاخضاعها ونهب ثرواتها.	تنميط القيم والافكار على صعيد عالمي وتكييف العقول بخلق ما يسمى "اجيال القادة" و ترويج ثقافة الاستهلاك وقيم الفردانية والمردودية والمصلحة .

هذا يعني أن العولمة تسير في اتجاه القضاء على الاختلاف خاصة وأن الاختلاف يمثل بالنسبة لـ"كلود لفي ستروس" واقعا طبيعيا. إذ يلاحظ "كلود لفي ستروس "أن الحضارات والثقافات توجد في واقع الاختلاف إذ تتطوّر الإنسانية في ضروب متنوعة من المجتمعات والحضارات. والتنوع الثقافي يولّد بالضرورة تلاقحا بين الثقافات، فضرب وجود الثقافات يتمثل في وجودها معا، والالتقاء بين الثقافات إما أن يؤدّي إلى تصدّع

وانهيار نموذج أحد المجتمعات وإما إلى تأليف أصيل بمعنى ولادة نموذج ثالث لا يمكن اختزاله في النموذجين السابقين. وهذا يعني أنه ليس هناك تلاقح حضاري دون مستفيد، والمستفيد الأول يسميه "ستراوس" بالحضارة العالمية التي لا تمثل في نظره حضارة متميزة عن الحضارات الأخرى ومتمتعة بنفس القدرة من الواقعية وإنما هي فكرة مجرّدة. والمشكل بالنسبة لـ"ستراوس" لا يتمثل في قدرة مجتمع ما على الانتفاع من نمط عيش جيرانه ولكن هو مشكل قدرة مجتمع ما على فهم ومعرفة جيرانه. ومن هذا المنطلق فإن الحضارة العالمية لا يمكن أن توجد إلا كفكرة من حيث هيّ "تحالف للثقافات التي تحتفظ كلّ واحدة منها بخصوصياتها. أما ما هو بصدد التحقق اليوم في ظلّ العولمة فليس إلا علامة تقهقر الإنساني والكوني، وإذا كانت الإنسانية تأبى أن تكون المستهلك العقيم للقيم التي أنتجتها في الماضي فإنه عليها أن تتعلم من جديد أن كلّ خلق حقيقي يتضمن رفضا ونفيا للقيم الأخرى، لأننا لا نستطيع أن نذوب في الآخر ونكون مختلفين في نفس الوقت لذلك ينقد لفي ستراوس فكرة التفوق الثقافي التي يعتبرها وليدة للحكم المسبق الذي تمثله المركزية الاثنية أي الميل إلى اعتبار ثقافتنا الخاصة نموذج للإنسان.

حوصلة واستنتاجات

لئن كان اشكال الخصوصية سجين مطلب الهوية فقد ظل اشكال الكوني رهين العولمة بكل ما تتكشف عليه اليوم من رغبة بالهيمنة الراسمالية الغربية على كل المقدرات الحضارية والقيمية لشعوب الارض التي غدت "قرية كونية "صغيرة يلهو فيها الرجل الابيض او يمرح فيها "اليانكي "بجواده طولا وعرضا دونما ضابط اخلاقي او انساني فيدوس تاريخ الحضارات والشعوب وقيمها بل ويعبث بها ويعدمها من الوجود مثلما فعل لثقافة "الهنود الحمر" .فالحضارات المنتصرة هي من يكتب تاريخ الانسانية الم يقل **ريمون ارون " ان التاريخ يدوس جثث الثقافات مثلما يدوس جثث البشر** ".

انتــهى

قابس 2019-02-19

الهادي عبد الحفيظ - معهد حي الامل- قابس
Abunadem.marzouki@gmail.com

